

تاريخ الإرسال:

2018/02/22

تاريخ القبول:

2018/02/26

تاريخ النشر:

2018/06/01

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد

بقلم

ط.د/ هاجر منصوري (*) و أ.د/ عمار طسطاس (**)

ملخص

قد يعتبر الجهاد في ظاهره صورة من صور معاداة الإنسانية إلا أن المتمعن في حقيقة هذا الموضوع تتجلى له مدى أهمية قيمة الإنسان فيه بصفة خاصة، وأصالة موضوع النزعة الإنسانية في الإسلام بصفة عامة، حيث يجد يقينا في نفسه بأنه من أهم أركان الإسلام التي تحافظ على قيمة الإنسان من جانبين: الأول داخلي نسميه جهادا أكبر يعمل على تصفية النفس الإنسانية من كل ما يشوبها من قوى الشر، والذي يؤدي إهماله إلى التأثير على الصعيد الخارجي بانتشار روح السيطرة والعداوة بين الإنسانية هنا يأتي دور الجهاد الأصغر الذي يقوم بالحفاظ على حرية الإنسان التي تعتبر أسمى القيم الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الجهاد، الإسلام، الإنسانية، الرحمة، المساواة، الحرية.

المقدمة:

مما لا شك فيه أن الإسلام أتى لتكريم الإنسان من حيث هو إنسان يقول تعالى: " ولقد كرّمنا بني آدم " فالتكريم هنا للإنسانية جمعاء بغض النظر عن الجنس أو اللون، ولذلك نجد أن هذا الدين صان حق حريته وعلمه القيم والأخلاق التي يعيش بها حرا غير خاضع لأي قوى أخرى ، فيبني مجتمعا كونيا لا يخضع لمعايير الزمان والمكان، ولا يختص بأمة دون الأمم، يكون الإنسان فيه هو صانع الحضارة، وواحد من أهم عناصر حركة التاريخ، وخليفة الله في أرضه يقول تعالى: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ البقرة: 30؛ ولكن التطور الحاصل اليوم جعل الإنسان ينسى

(*) قسم أصول الدين - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة. hadjermansouri89@gmail.com

(**) قسم أصول الدين - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة. TESTAS@OUTLOOK.FR

الوظيفة الأولى التي خلق من أجلها، فأصبح عبداً للمادة متجرداً من كل الأخلاق والقيم التي جاء بها الدين من أجل أن ينتشر بها جيداً لتنعكس بعد ذلك على أرض الواقع، فأضحى لا يأخذ منها إلا ما هو سطحي لا علاقة له بالمعنى الأصيل فيه لا من قريب ولا من بعيد، هذا ما قدم الدين في صورة جعلته بعيداً كل البعد عن الإنسانية مقدماً للإلهيات عن الإنسانيات، كما هو الحال مثلاً في المسيحية التي تلغي كرامة الإنسان لتقيده دوماً بمبدأ الخطيئة الأولى والأبدية التي حولت الإنسان من عنصر فاعل في حركة التاريخ إلى مجرد كيان متلقي للتأثيرات الخارجية، مما ساهم في ضياع أو تباطؤ حركة المشروع الحضاري الإنساني الذي نادى به الرسالات السماوية والتي تجلت في الرسالة الخاتمة؛ دون أن ننسى أن هذا الفهم السطحي للدين أدى إلى توظيفه في صراعاتنا السياسية وخلافاتنا الأيديولوجية والمذهبية، والتي يذهب ضحاياها آلاف البشر مما جعل الإسلام أكثر الأديان عنفاً ودموية في هذا العصر. وهكذا تشكلت صورة الإسلام المعادية للإنسانية. ومن هنا تظهر لنا أهمية ترسيخ النزعة الإنسانية في مجتمعاتنا، الأمر الذي يعيد لنا الكثير من القيم التي نفتقدها في عصرنا هذا سواء على المستوى التعليمي بترسيخ قيم التسامح واحترام التعددية وحقوق الإنسان ونقد الذات وقبول الآخر، أو المستوى التربوي بتربية الناشئة على ثقافة الحوار والتسامح وقبول الآخر المختلف ديناً أو مذهباً. دون أن ننسى المساهمة في تعديل الصورة المشوهة للإسلام الناتجة عن الفهم الخاطئ لبعض المسلمين الذي نتجت عنه العديد من الممارسات الخاطئة التي وسمت بالعنف والبعد عن الإنسانية.

ومما سبق نحاول في هذه الصفحات إثبات خطأ إدعاء الآخر الذي يجعل قيمة الإنسان اهتماماً غربياً محضاً ناتجاً عن الاهتمام بالنزعة الإنسانية، عن طريق التطرق إلى موضوع الجهاد في الإسلام الذي يعتبر أوسع أبواب الاتهام التي استغلها الآخر في بناء هذه الصورة المشوهة للإسلام، فأين تبرز يا ترى قيمة الإنسان في الجهاد؟ وكيف يحافظ الجهاد عليها رغم أنه في عيون الكثيرين عنف في أرقى صورته؟ والإجابة على هذه التساؤلات تؤدي إلى الإجابة على تساؤل محوري هنا يتمثل في: هل الإسلام معاد لما يطلق عليه في يومنا هذا نزعة إنسانية أم هو دين إنساني بامتياز؟ ولحل هذا الإشكال نتطرق إلى العناصر الآتية:

- النزعة الإنسانية في الفكر الغربي.
- أصل الكلمة اليوناني (الإنسانية / HUMANISME).
- النزعة الإنسانية في الفكر الإسلامي.
- تعريف الجهاد، حكمه ومراتبه.
- مراحل تشريع الجهاد وأهدافه.

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصور، وأ.د. عمار طسطاس

- هل يخالف الجهاد المبادئ الإنسانية؟
- الجهاد وإنسانية الإنسان.
- خاتمة

النزعة الإنسانية في الفكر الغربي:

أصل الكلمة اليوناني (الإنسانية/ HUMANISME):

يجب علينا في البداية التمييز بين الصفة والاسم كما نبه هاشم صالح في كتابه مدخل إلى التنوير الأوروبي ، فصفة "الإنساني" أو "الإنسي" humanist اشتقت في اللغات الأوروبية منذ القرن السادس عشر، وبالتحديد عام 1539. أما كلمة النزعة الإنسانية على هيئة الاسم أو المصدر humanisme فلم تظهر إلا في القرن التاسع عشر¹ وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية humanistas والتي تعني: "تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات"²، هذا مع العلم أن مدلول هذه الكلمة كان موجودا منذ وقت طويل فقد يوجد الشيء قبل أن يوجد اسمه، ولذلك فإن العائد إلى اليونان القديمة ، يجد أن ثمة عبارة Pedia Enkiklia التي تشير إلى التعليم المتوازن، والذي يقوم على نسق المعارف الإنسانية المتمثل في الفنون الحرة السبعة: القواعد اللغوية، البلاغة، المنطق أو الديالكتيكية ، علم الأعداد، الفلك، التجانس الصوتي Harmony، وهذا ما عرف آنذاك بتقنية التعليم والنقاش بلا كتب، حيث تعتمد هذه التقنية على التمكن من اللغة، والدقة في التفكير، والمهارات الجدلية. كما تدل هذه العبارة على إمكانية التأثير في الطبيعة الشخصية الإنسانية وفي نموها عن طريق التعليم. وبذلك يتحقق التمايز الإنساني عن طريق اكتساب القدرة على الإقناع والقيادة، وهي قدرة لازمة للعب دور نشط في الحياة العامة، وممارسة مثل هذا الدور يعتبر شيئا أساسيا لتحقيق إنسانية الإنسان.³

تلك الحركة الفكرية التي سادت عصر النهضة الأوروبية كانت تدعو إلى الاعتداد بالفكر الإنساني ومقاومة الجمود والتقليد، وترمي بوجه خاص إلى التخلص من سلطة الكنيسة وقيود القرون الوسطى وخرافاتها، دفاعا عن حق الإنسان في أن يمتلك الحرية لتحديد مشروع حياته بطريقة مستقلة ومن أشهر دعايتها ببيتاراك، وإراسم.⁴ فالدين المسيحي آنذاك غرس في العقول نزعة زهدية، تميل إلى اعتبار إنكار الذات مثلاً أعلى يجب أن يتخذ أساسا لكل كمال شخصي واجتماعي، كما كان يتبنى نظرة للبناء الكوني، ونظاما من القيم والمعتقدات والعادات يتوجب على الجميع إتباعها، وكان الشغل الشاغل للفلسفة السكولائية السائدة آنذاك هو المقولات المنطقية والتساؤلات الميتافيزيقية، حيث تميزت باستدلالاتها العقلية المجردة البعيدة تماما عن الحياة

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

الإنسانية العادية فكانت على حد قول بيتزارك مستعدة دائماً لتقديم إجابات عن مسائل حتى لو كانت إجاباتها غير صحيحة.⁵ ولذلك نجد أن المذهب الإنساني عمل على جعل الإنسان غاية في ذاته، وهدفه هو تحقيق المثل الأعلى للإنسان في جميع المجالات، ونستطيع القول أنه يعني مسيرة كفاح لتحرير الإنسان بالتدريج والاهتمام بقدراته لتحسين مصيره أو تعديله، كما كانت النزعة ذاتها تعبر عن محاولات للبحث القلق عن حل آخر لأحداث الساعة الحاضرة ومشاكلها مختلف عن حلول الفلسفة المدرسية، والذي أدى إلى انبثاق تلك الرغبة السقيمة في الذهاب إلى كل ما هو جديد، واستكشاف كل ممنوع،⁶ ولذلك نجد أن أندري لالاند ANDREE LALANDE يعرفها في قاموسه الفلسفي الشهير بقوله: "هي مركزية إنسانية متروية، تنطلق من معرفة الإنسان، وموضوعها تقويم الإنسان وتقييمه واستبعاد كل ما من شأنه تغريبه عن ذاته، سواء بإخضاعه لحقائق ولقوى خارقة للطبيعة البشرية، أم بتشويهه من خلال استعماله استعمالاً دنيوياً، دون الطبيعة البشرية".⁷ وقد ذكر في موسوعته ثلاث معاني لهذا المذهب:

أولاً: حركة فكرية يمثلها إنسانيو النهضة بترارك، بوغيو، لورنت فاللا، اراسم، بوديه، اولريخ، دو هوتن، وتتميز بمجهود لرفع كرامة الفكر البشري وجعله جديراً، ذا قيمة، وذلك بوصول الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة، في ما يتعدى العصر الوسيط والفلسفة المدرسية.

ثانياً: اسم أطلقه شيلر من أكسفورد، على المذهب الذي عرضه في مؤلفاته والذي يربطه بحكمة بروتاغوراس: "الإنسان هو المقياس لكل الأشياء". ويترتب على ذلك أن كل معرفة تكون ملحقة في نهاية المطاف بالطبيعة البشرية وبحاجاتها الأساسية. فالإنسانية أوسع من الذريعة، لأنها لا تطبقها فقط على المنطق، بل على الأخلاق، الجمال، الميتافيزيقا واللاهوت، ومن ثم ترفض كل مطلق ميتافيزيقي وتسوغ وجود عدد من الميتافيزيقا مساو لعدد الأمزجة.

ثالثاً: عقيدة تقوم على الإيمان بخلاص الإنسان بالقوى البشرية وحدها، وهذا اعتقاد يتعارض بشدة مع المسيحية، التي تعتقد بخلاص الإنسان بقدرة الله وحده وبالإيمان.⁸

إن النزعة الإنسانية في الفكر الغربي ليست بجميع تلويناتها وتعبيراتها خروجاً عن الدين، بل يمكننا أن نميز بين النزعة الإنسانية المسيحية المؤمنة والتي "لا تزال تمثل تياراً فلسفياً حتى هذه اللحظة في أوروبا. ويكفي أن نذكر كأمثلة عليها فلاسفة كبار من أمثال كارل ياسبيرز الألماني أو غابريل مارسيل الفرنسي، أو امانويل مونيه، أو حتى بول ريكور أهم فيلسوف فرنسي الآن"⁹ وهي التي ترى في الإنسان الكائن المتميز المدعو إلى تجسيد إرادة الله على الأرض، بالاعتماد على العقل والنعمة الإلهية. وهكذا شكلت النزعة الإنسانية أو الأنسنة مدخلاً إلى التنوير الأوروبي، وأحد أعمدة الحداثة الغربية، خاصة وأن الأنسنة تتمفصل مع العقلانية والعلمانية

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

والتاريخية، فهذه العناصر تشكل جوهر الأنسنة، لأن الاهتمام بالإنسان معناه إعطاء الأولوية لعقله في الإدراك والتمييز وبناء الأحكام المعيارية.¹⁰

النزعة الإنسانية في الفكر الإسلامي: مما سبق ذكره يتبين لنا سبب رفض الفكر الغربي لكل أسبقية دينية أو ميتافيزيقية يمكنها أن تحد من إبداع الإنسان وفعاليته في التاريخ، ويعمم القول بأن الأديان بصفة عامة تقيد حرية الإنسان كما تعرقل عملية تطور المجتمعات بحددها لوظيفة العقل الإنساني، بما في ذلك الإسلام واعتمدوا في ذلك على بعض الفهومات الخاطئة لمبادئه وقيمه؛ منها اعتبار الإسلام مثلاً أعلى متماسكاً، ومجموعة من المبادئ الثابتة الغير مجارية لمتطلبات الزمان والمكان، الأمر الذي يجعله غير متوافق إلا مع نفسه، وبالتالي سيكون من أشد الرافضين للنزعة الإنسانية مثله مثل أي دين آخر، لكن الحقيقة التي تقضي إلى كون الإسلام إيماناً حياً ديناميكياً، مرتقياً ومتجاوباً مع جميع البيئات والأوساط على اختلاف أشكالها وتركيبها وثقافتها...، ومع الأوضاع التاريخية سريعة التقلب، يجعله متوافقاً مع كل الأنماط المتواجدة من كيانات سياسية أو أنظمة اجتماعية واقتصادية، أنتجها التاريخ البشري، مما يجعله ديناً عالمياً تاريخياً يغطي أربعة عشر قرناً نجح في الانتشار والتعمق في شتى المجتمعات والثقافات على اختلافها سواء كانت حياة قبائلية بدوية، أو بيروقراطية مركزية، حياة إقطاعية زراعية، أو حياة صناعية رأسمالية. وهذا ما يجعل الإسلام متوافقاً مع النزعة الإنسانية،¹¹ ذلك أن الإسلام دين الإنسان كما أنه بخصائصه المعروفة يرسخ في أنفسنا يقيناً بأن إنسانية الإنسان موضوع مركزي في الإسلام الذي جاء منذ البداية لتحريره ودفعه إلى التطور والرقى. ومن هذا المنطلق نعلم أن الإسلام، دين يلائم الفطرة الإنسانية ينظر نظرة خاصة فاحصة دقيقة للإنسان في ذاته وتركيب كيانه النفسي والخلقي، والاجتماعي،¹² كما تظل الدراسات الانسانية « تمثل وحدها العالم الحقيقي، والمعرفة الشاملة، لنقل المعرفة السامية بأشرف الكائنات وأسمائها، خليفة الله على الأرض، الإنسان. »¹³ فمصطلح الأدب في التراث العربي الإسلامي كان يدل على الثقافة الواسعة الدالة على المجهود المبذول لرفع الكرامة الانسانية، مما يجعل الأنسنة تعني تحقيق الإنسان أقصى ما يتمناه من خير ومنافع في الحياة الدنيا، وقد ظهر هذا التصور للحياة في الثقافة العربية بشكل واضح في العقود الأخيرة من القرن العشرين.¹⁴ ومن التعريفات التي وردت في هذا الشأن:

يقول **محمد قطب** في تعريفه للنزعة الإنسانية بغض النظر عن اعتقاده بأن ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر بالنسبة للفكر الغربي فيقول إنها: « دعوى... للارتفاع فوق كل الحواجز التي تفرق بين البشر على الأرض، تدعوك لترتفع في عالم النور... لتكون كبير القلب، واسع الأفق، كريم المشاعر... تنتظر بعين إنسانية، وتفكر بفكر عالمي، وتعطي من نفسك الرحبة لكل البشر

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصور، وأ.د. عمار طسطاس

على السواء، بدافع الحب الإنساني الكبير.¹⁵ وكل عناصر هذا التعريف تنطبق على الإسلام وما جاء به من مبادئ وقيم.

وبعد محمد قطب نتطرق إلى رأي محمد أركون في النزعة الإنسانية الإسلامية التي يضعها في سياق النزعة الإنسانية العربية حيث يرى أن هذه الأخيرة أشمل، فيرى أركون أن المصطلح الذي يقابل كلمة HUMANISTAS اليونانية هو مصطلح الأدب بمعناه الكلاسيكي وليس بمعناه الضيق المحدث والذي يعني: «وجود ثقافة كاملة أو متكاملة لا يعترئها النقص أي نلم بكل شيء، إنها ثقافة تحتوي على كل المعارف والعلوم، وتتجسد في شخصيات تتميز بالأناقة المرفهة، والزي الحسن، واللباقة المهذبة، والفهم العالي للعلاقات الاجتماعية باختصار تتميز بمراسم صارمة ودقيقة في العادات والسلوك، وهي مراسم تهدف إلى توفير الخير لكل جماعة عن طريق تنمية الإمكانات الجسدية والمعنوية والثقافية للفرد ومساعدته على التفتح والازدهار.»¹⁶ وتعني الأنسنة في نظر أركون: «النظر في الاجتهادات الفكرية لتعقل الوضع البشري وفتح آفاق جديدة لمعنى المساعي البشرية لإنتاج التاريخ، مع الوعي أن التاريخ صراع مستمر بين قوى البشر والعنف وقوى السلم والخير والجمال والمعرفة المنقذة من الظلام.»¹⁷

أما عبد الجبار الرفاعي فيقول في سياق حديثه عن إعادة بث وإحياء النزعة الإنسانية في الدين: «هي إيجاد حالة من التوازن والانسجام بين متطلبات جسده من حيث هو كائن بشري، وإمكانية غرس وتنمية روح التصالح مع العالم، والتناغم مع إيقاع الكون، وتكريس حالة الانتماء للوجود، والتعاطف مع كافة الكائنات الحية والشفقة عليها، وتعزيز أخلاقية المحبة، وتدريب المشاعر والأحاسيس والعواطف على القيم النبيلة، والسعي لاكتشاف روافد ومنابع إلهام الطاقة الحيوية الإيجابية في هذا العالم، والتواصل العضوي معها. وهذا يعني استحياء صفات الرحمة والمحبة والسلام ونحوها من الرحمن.»¹⁸

إذا ومما سبق نقول أن الفرق بين النموذج الإنساني الغربي والإسلامي واضح فمن وجهة نظر عبد الوهاب المسيري يتميز الفكر الإنساني الغربي بفرضه لنموذج واحد مادي بالرغم من أن طبيعة البشر حتى وإن كان الفرد منهم يتبع هذا النموذج إلا أن إدراكه الفطري لثنائية الإنساني والطبيعي/ المادي، تجعل ثنائيات كالخير والشر، المقدس والمدنس، المطلق والنسبي تظهر بطريقة أو بأخرى؛ مما يؤكد لنا أن العلاقات الإنسانية الفطرية تؤكد نفسها بطريقة تتحدى النموذج المادي، الأمر الذي يجعل العنصر الرباني أساسيا في النفوس بحيث لا يمكن إلغاءه أو حتى تجاهله،¹⁹ وهذا ما يركز عليه الفكر الإنساني في الإسلام الذي لا يهمل أي جانب من جوانب الإنسان فمهما ركز على الجانب المادي لا ينسى إعطاء الجانب الروحي منه حقه، وإلغاء الجانب الديني من الإنسان

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصور، وأ.د. عمار طسطاس

يعتبر ظلما وإجحافا له، ذلك أن نسيان الإنسان للإله نسيان لذاته المركبة الربانية، قال تعالى: « نسوا الله فأنساهم أنفسهم» الحشر: 19. يقول المسيري في هذا الشأن: « بل هو تناس لمقدرة الإنسان على تجاوز العالم المادي وعلى اكتشافه لجوهره الرباني الإنساني. ولكنه، على أية حال، ليس نسيانا كاملا، إذ تظل ذاكرة النور الذي يبيته الإله في الصدور قائمة في أعماق وجدان الإنسان»²⁰ أي أن الوعي الإنسي في الفكر الإسلامي كما يصفه لؤي الصافي هو: « وعي الوجود بجوانبه الحسية والروحية، وعيا يتماهى فيه الوجدان والوجود، وتتطابق فيه الإرادة الجزئية والإرادة الكلية، وتلتحم عبره المصلحة الخاصة والمصلحة العامة، وتتلامس من خلاله الروح الإنسية بالروح العليا، وتتحوّل عبره الروح الكلية إلى مثل أعلى للروح الجزئية. ومع ارتقاء الوعي إلى العالمية وتحرره من كل الخصوصيات السابقة تعانق الروح الإنسية معاني الكمال والجمال، الكمال الذي ينعكس في عالم الإنسان عبر مفاهيم الإحسان والإتقان، والجمال الذي ينعكس في الوعي الإنساني من خلال معاني الإبداع والإخلاص»²¹

وفي الأخير نقول أن النزعة الإنسانية في الفكر الإسلامي نزعة تستمد مبادئها من تعاليم الإسلام الذي جاء للإنسان من أجل الحفاظ على توازنه، فلم يغلب جانبه الروحي الأمر الذي يجعله بلا هدف في هذه الحياة زاهدا فيها لا يسعى إلا للأخرة والنجاة في بعض الأحيان من خطيئة لم يقترفها، كما أنه لم يغلب الجانب المادي الذي يجعله شبيها بالحيوان لا غاية له إلا إشباع رغباته، حتى وإن اقتضى الأمر إنشاء عدوات وخوض حروب لأجل مصالح شخصية دون الالتفات إلى مبدأ المحبة والأخوة بين البشر، ولا يتحقق هذا التوازن إلا بإعمال العقل الذي يساعده على الارتقاء عن الصفات الحيوانية، وفي نفس الوقت يجعله يحافظ على متطلباته ورغباته التي تدفعه دوما إلى الاستكشاف والبحث عن المعرفة وعن كل ما يساهم في تحقيق أهدافه.

وكون الإسلام نظام شامل لحياة الإنسان يسعى إلى تكوين مجتمع أساسه العدل والإحسان سواء تجاه أفراد أو مخالفيه، نجده يضع سياسة خاصة به للحفاظ على نظام المجتمع وضمان سلامة أفراد، من أجل تنظيم العلاقات البشرية في الحياة الاجتماعية، قد تظهر هذه السياسة في بعض الأحيان على شكل نزاعات واشتباكات يطلق عليها القانون الدولي مسمى الحرب، أما في النظام الإسلامي فهي فتعرف بالجهاد لتمييزها عن غيرها من النزاعات بأهدافها وأسبابها والشروط التي تحيط بها، حتى تمنعها من التخريب والظلم والطغيان في حق الإنسانية؛ وفيما سيأتي بيان لهذه العناصر التي نستشف من خلالها إنسانية أحكام الجهاد الذي يعتبر من أكثر المواضيع التي صيغت بطريقة خاطئة من طرف الفكر الغربي لتصوير معاداة الإسلام للإنسانية، حيث أن هذا الموضوع فتح الباب على مصراعيه أمام هذا الإدعاء فما هي حقيقة الجهاد التي

بغياها فقد الجهاد روحه ليصبح هدفا في ذاته لا وسيلة لتحقيق أهداف سامية.

الجهاد في الإسلام:

تعريف الجهاد: لغة: بالرجوع إلى مادة " جهد " في كتب اللغة نجد أن لها الكثير من المعاني والأنسب لها من مجموع هذه المعاني هي: الطاقة، المشقة، الوسع، القتال، والمبالغة، وهذا ما اعتمد عليه العلماء في تعريفهم للجهاد. جاء في لسان العرب لابن منظور: "الجهد والجهد: الطاقة، وقيل الجهد المشقة، والجهد الطاقة يقول الليث: الجهد ما جهد الإنسان من مرض أو أمر شاق فهو مجهود وجهد... ، وجهد دابته جهداً وأجهدها: بلغ جهدها وحمل عليها في السير فوق طاقتها... والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود، وهو افتعال من الجهد والطاقة...، وجاهد العدو مجاهدة وجهاداً أي: قاتله، وجاهد في سبيل الله. والجهاد المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل".²² ويقول ابن فارس في معنى جهد: " الجيم والهاء والdal أصله المشقة، ثم حمل عليه ما يقاربه، يقال: جهدت نفسي، وأجهدت، والجهد: الطاقة. قال تعالى: " والذين لا يجدون إلا جهدهم " «ويقال: إن المجهود اللبن الذي أخرج زبده، ولا يكاد يكون إلا بمشقة ونصب». ²³ ويقول الفيروز أبادي في القاموس المحيط: " الجهد الطاقة والجهد المشقة، والجهاد هو القتال مع الأعداء كالمجاهدة ".²⁴

شرعاً: يقول ابن حجر العسقلاني: « والجهاد بكسر الجيم أصله لغة المشقة، يقال جهدت جهاداً بلغت المشقة. وشرعاً: بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق. فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ثم على العمل بها ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب». ²⁵ ويفرق ابن تيمية في شرحه للجهاد بين الجهاد في المرحلة المكية والجهاد في المرحلة المدنية فيقول: «والله تعالى يقول: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) التوبة: 33/ والفتح: 28/ الصف: 9؛ بالحجة والبيان؛ وباليد واللسان؛ هذا إلى يوم القيامة. لكن الجهاد المكي بالعلم والبيان، والجهاد المدني مع المكي باليد والحديد، قال تعالى: (فلا تطع الكافرين وجاهدوهم به جهاداً كبيراً) الفرقان: 52، وسورة الفرقان مكية، وإنما جاهدوهم باللسان والبيان، ولكن يكف عن الباطل. «²⁶. وورد في كتاب الشرح الصغير في هذا الباب: «الجهاد لغة: هو التعب والمشقة، واصطلاحاً قال ابن عرفة: قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى، أو حضوره له أو دخوله أرضه... وإنما قال ابن عرفة لإعلاء كلمة الله إشارة إلى أنه ينبغي أن لا يكون الجهاد إلا لله لا لشيء آخر». ²⁷

إذا فالجهاد هو بذل الوسع، وتحمل المشقة في مدافعة العدو الذي يبتغي انحراف الإنسان عن طريق الله عز وجل، ويدخل في ذلك جميع الأوضاع والأحوال التي يقصر المؤمن عليها نفسه للالتزام بتوجيهات الإسلام، وأوامر الله، والابتعاد عن معصيته سبحانه، وجميع الوسائل التي يتخذها حمل الناس على ذلك الالتزام الذي يحتاج من المؤمن جهدا ومشقة لتحقيقه من جهة، وللحفاظ عليه من جهة أخرى. أي أن الجهاد بهذا المعنى الواسع هو الجانب العملي من الإسلام قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ العنكبوت: ٦ قال بن كثير بان هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ فصلت: ٤٦ وقد فسر الجهاد هنا بالعمل الصالح.²⁸

ويرد الجهاد أيضا بمعنى بذل الجهد والطاقة بالقتال في سبيل الله تعالى، ويدخل في معناه كل جهد مباشر يبذل من أجل هذا القتال، سواء أكان سابقا عليه أم لاحقا له، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْأَنْجِيلِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ التوبة: ١١١، وسر استعمال القرآن في بعض الأحيان لمصطلح القتال هو التأكيد على التحاق القتال بأنواع الجهاد الأخرى في حكم الفرضية والتأكيد على دخول التضحية بالنفس في الجهاد.²⁹ ومن أبرز تعريفات المعاصرين في هذا الموضوع تعريف فتح الله كولن الذي نحى منحى روحيا في محاولته لتعريف الجهاد بشقيه الأكبر والأصغر، فيرى أن مفهوم الجهاد أصبح بظهور الإسلام يدل على إيصال الإنسان إلى الله وإزالة العوائق بينه وبين الله عز وجل وهذه وظيفة الجهاد بشقيه، أما الأكبر فهو موجه إلى الداخل وقال عنه: "إنه عملية إيصال الإنسان إلى ذاته وإلى ربه"، أما الجهاد الأصغر الموجه إلى الخارج فقال عنه "إنه عملية إيصال الآخرين إلى ذواتهم وإلى ربهم".³⁰ وفي الأخير نقول إن المعنى الشرعي للجهاد لا يختلف عن المعنى اللغوي إلا أن العلماء أضافوا إليه روحا إيمانية، وتدور معظم التعريفات الموضوعية له حول بذل الوسع والطاقة في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان، كما يطلق على جهاد النفس والشيطان. أي أن الجهاد تعبير عام داخل في عموم المعنى اللغوي، إلا أن له قيما عاما هو أن يكون في سبيل الله.

حكم الجهاد: إن حكم الجهاد يكون حسب اعتبارين: الأول: إن لم يكن النفير عاما: ففي هذه الحالة يكون الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاتِلُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

اللَّهُ الْمُتَّقِينَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَتْلِيِّينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ النساء: ٩٥. الثاني: إذا كان النفير عاما: كهجوم العدو على بلد إسلامي فالجهاد هنا فرض عين على كل قادر من المسلمين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ التوبة: ٤١. ³¹

مراتب الجهاد: بعد أن اتضح لنا من تعريف الجهاد أنه لا ينحصر فقط في جانب القتال والحرب علينا أن نتطرق للأشكال التي يتخذها الجهاد، ونبدأ بأعلاها مرتبة والتي تتمثل في **جهاد القلب:** الذي يعني مجاهدة الشيطان و النفس عن الشهوات و المحرمات، و هو من أشق أنواع الجهاد و لذا كان الصحابة يقولون عند الرجوع من جهاد العدو: رجعنا من الجهاد الأصغر، إلى الجهاد الأكبر و هو جهاد النفس³²، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم " المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله"³³. ويقول ابن القيم: "إن جهاد النفس مقدم على جهاد العدو في الخارج واصل له فانه ما لم يجاهد نفسه أولا لم يمكنه جهاد عدوه فكيف يمكنه جهاد عدوه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج."³⁴ ولذلك كان الجهاد قبل تشريع القتال يعني جهاد النفس بتقويمها وتركيتها وتطهيرها حتى تبقى قوية الإيمان راسخة اليقين، فالتضحية بالمال و النفس أمام الأعداء تحتاج إيمانا راسخا. ثم يأتي في المرتبة الثانية **جهاد اللسان:** بأن ينطق بالحق، ويوجه الأنظار إلى آيات الله، وكذا بالدعوة لنشر دينه وتطبيق شريعته، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة لله ورسوله والمسلمين وعامتهم، دون أن ننسى تنفيذ حجج الأعداء، فجهاد الكفار والمنافقين كان في بداية الدعوة باللسان قبل السيف،³⁵ وأكثر مرحلة من المراحل الدعوية في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تمثيلا لهذه المرتبة المرحلة المكية التي كان التركيز فيها على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. لذلك ينبه عبد الجبار الرفاعي في كتابه إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين إلى أنه يجب علينا التمييز بين مرحلتين من الدعوة النبوية، المرحلة المكية والمرحلة المدنية وإعطاء لكل مرحلة حقه فتغليب المرحلة الثانية على الأولى في قراءة وتفسير التجربة النبوية والإسلامية يعد خطأ لأن تهميش المرحلة المكية يعتبر محاولة تخفي وراءها أغراضا مصلحية أكثر من كونها دينية، فهي تكريس لكل ما هو تاريخي في الدين على حساب ما هو ديني.³⁶ ثم تأتي بعد ذلك مرتبة **جهاد اليد:** وأصل هذه الوظيفة لولاية الأمور والعاملين في مجال الحسبة، فعليهم رد أهل المنكر والفجور و المعاصي، بزجرهم عن تعطيل الفرائض والواجبات، وردعهم عن تعاطي المنكرات. ثم **جهاد المال:** الذي يجب أن يبذل في سبيل الدعوة وأهدافها، ويسخر من أجل تحقيق تلك الأهداف، فيصنع به السلاح، ويعان به المجاهدون وأسرهم، وينفق

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

في سبيل كل مجال يعود على الدعوة وأهلها بالخير، أو يدفع عنها الشر.³⁷ ثم يأتي في الأخير **الجهاد بالسيف**: وهو قتال الكافرين على الدين و يكون أحيانا فرض كفاية و أحيانا فرض عين.³⁸ ونستطيع تقسيم جهاد السيف إلى قسمين:³⁹

1- **الجهاد الدفاعي (جهاد الدفع)**: هو الدفاع عن بيضة الإسلام: في حالة هجوم العدو على بلاد المسلمين أو ثغورها، والخوف منه على الإسلام والمسلمين، في مثل هذه الحالة يجب على كل قادر الدفاع عنهما بأي وسيلة ممكنة من بذل للأموال والأنفس، ويشمل هذا الحكم الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، ومثال ذلك وجوب تعاون المسلمين لتحرير القدس، من هنا نقول إن الجهاد الدفاعي واجب على المسلمين لدور الخطر السياسي والاقتصادي والثقافي الذي يحيط بالإسلام والمسلمين، ومعنى هذا أن الهدف من هذا القسم هو دفع الظلم والعدوان الآتي من قبل الأعداء حينما يهاجمون المسلمين في عقر ديارهم، والدفاع حق شرعي لكل مظلوم ومعتدى عليه.⁴⁰ لقوله تعالى: ﴿أُوذِنَ الَّذِينَ يَفْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)

2- **الجهاد الابتدائي (جهاد الطلب)**: قد نطلق عليه جهاد التحرير أيضا وهو موجه لرفع الموانع من طريق الدعوة، وهو جهاد ضد المشركين والكفار المتجبرين في الأرض، والساعين فيها فسادا، فعلى المسلمين دعوتهم إلى قبول شريعة الإسلام، فإن لبوا وأجابوا حصل المطلوب - أي دخولهم إلى الإسلام - وإلا فالحرب، حتى يذعنوا لأمر الله وأحكامه، والهدف من ذلك هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور برد الناس إلى خالقهم، بالإضافة إلى نصرته المستضعفين والمظلومين في الأرض. إذا فهذا القسم من الجهاد يقوم على تبليغ المسلمين للحكم الإلهية إلى الكفار والمشركين، وقيادتهم إلى تقبل الشريعة الإسلامية بالدرجة الأولى أو الجزية التي تأتي في الدرجة الثانية. وفي هذه الحالة تصان أعراضهم وأموالهم ودمائهم وجميع حقوقهم بعد أدائهم ما عليهم من واجبات.⁴¹ أي أن هذا النوع من الجهاد حتى وإن كان ابتدائيا فإنه يتميز بغطاء قانوني ببرره، لأن هدفه الأول هو رفع الموانع عن طريق الدعوة، ونصرة أتباعها من المستضعفين. فيكون الهدف الأول منه بعد حماية حقوق المسلمين، متعلقا بإزالة الموانع أمام الدعوة الإسلامية، خاصة في تلك الفترة التاريخية التي كانت تتميز بعدم التعايش، وعدم السماح للدعاة بممارسة الدعوة إلى الله لنشر الرسالة الحاملين لها.

مراحل تشريع الجهاد: المرحلة المكية: حيث عرفت هذه الفترة من الدعوة الإسلامية بالإيذاء الحسي والمعنوي الذي أصاب الرسول وأصحابه ولكن الإذن بالقتال لم يصرح به، وجمهور العلماء على أن آيات الجهاد في العهد المكي كانت لجهاد النفس بحملها على الالتزام وكبح الجراح، وكذلك جهاد المشركين بالكلمة والحجة فقط، دون الإذن بالقتال، فالدعوة هنا كانت

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصور، وأ.د. عمار طسطاس

بالحكمة والموعظة الحسنة ولم يؤمر المؤمن آنذاك إلا بالصبر ومجاهدة نفسه، والثبات على الإيمان.⁴² حيث قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥). وهذا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فيما يرويه النسائي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أمرت بالعمو فلا تقاتلوا". (قال عنه الألباني صحيح الإسناد)⁴³ وخلاصة القول إن هذه المرحلة كانت مرحلة تربية وتركيبية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه والدعوة إلى التوحيد بالحجة والبيان والصمود، وقد استمرت هذه المرحلة طوال الفترة المكية إلى أن أمر الرسول وأصحابه بالهجرة إلى المدينة. في نهاية الكلام عن هذه المرحلة نقول أن غاية ما انتهى إليه الأمر في مكة هو إذن الرسول لمن شاء من الصحابة أن يترك مكة ويتوجه إلى الحبشة لأن بها ملكا لا يظلم عنده أحد.

المرحلة المدنية: أو مرحلة الإذن بالقتال: وهي المرحلة التي بدأت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، حيث بدأ النبي ببناء دولة إسلامية، في هذه المرحلة أذن الله سبحانه وتعالى بالقتال للنبي وأصحابه ونزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَلَئِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)، إلا أن الجهاد تميز في هذه المرحلة بعدم كونه فرضاً، بل كان مجرد أمر للدفاع عن النفس، كما كان متروكاً لقدرة المسلمين وإمكاناتهم، فهذه الآية مبيحة للقتال لا موجبة له، أتاحت للمسلمين الرد على المشركين آنذاك بعد أن كانت قبل ذلك جميع أشكال مواجهة المسلمين للمشركين ممنوعة.⁴⁴ قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَلَئِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)، «(أُذِنَ) معناه أبيع، وهو لفظ موضوع في اللغة لإباحة كل ممنوع... أي أذن الله، (يُقَتِّلُونَ) بكسر التاء أي يقاتلون عدوهم. وقرئ بفتح التاء أي يقاتلهم المشركون وهم المؤمنون. ولهذا قال: (بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا) أي أخرجوا من ديارهم.»⁴⁵ والمعنى هنا: أذن للذين يقاتلون بسبب كونهم مظلومين يقصد أصحاب رسول الله الذين كانوا يؤذون من طرف مشركي مكة، وكانوا يشكون ذلك إلى رسول الله فيقول: اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال،⁴⁶ وقد أذن لهم بالقتال ليدافعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم من اعتداء المعتدين بعد أن بلغ أقصاهم، ليحققوا لأنفسهم ولغيرهم حرية العقيدة والعبادة في ظل الدين.⁴⁷

المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة أصبح القتال مفروضاً على المسلمين كما يظهر في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمُ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد - ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

﴿البقرة: ١٩٠﴾ أي قاتلوا لإعلاء دين الله من قاتلكم من الكفار، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم، من غير بدء في القتال لأن ذلك ظلم وعدوان عند الله تعالى، وقيل في معنى لا تعتدوا أي ارتكاب ما نهى عنه من التمثيل بالجثث وقتل الصبيان والنساء والشيوخ، والرهبان، وحرق الأشجار وقتل الحيوان.⁴⁸ ويقول تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٧٥). هذه الآية تحريض للمؤمنين على الجهاد في سبيل الله وعلى السعي إلى نصرته المستضعفين في مكة الذين تم صدهم عن الهجرة من الرجال والنساء والصبيان الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين فاجب الله تعالى الجهاد لإعلاء كلمته، وعطف "المستضعفين" على "في سبيل الله" يعني أن نصرته المستضعفين محتواة في سبيل الله. أي أن المسلمين أمروا هنا بقتال من يقاتلهم فقط لقوله تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم"، فالقتال هنا كان مفروضا عليهم في حال بدء العدو بقتالهم ومحرم عليهم بالنسبة لمن سالمهم ولم يقاتلهم، فتبقى الحرب في هذه المرحلة حربا دفاعية لحماية الإسلام والمسلمين ضد هجمات المشركين واعتداءاتهم.

المرحلة الرابعة: وفي هذه المرحلة استقر أمر الجهاد على قتال مشركي العرب ابتداء حتى يسلموا، وقتال أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية وخص بالذكر أهل الكتاب لعلمهم بالتوحيد والرسول والشرائع بالإضافة إلى ذكر صفات محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم، ثم قال تعالى "حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" أي إن لم يسلموا.⁴⁹ وفي هذا بيان للغاية التي تمتد إليها العقوبة وعن البذل الذي ترتفع به وهو إعطاء الجزية وهم مستسلمون.⁵⁰

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَبِمَتِ وَهُوَ كَاْفِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢١٧)

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: "يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه" أي هل يحل لهم القتال فيه أم لا، "قل قتال فيه كبير" بمعنى القتال فيه أمر كبير ووزره عظيم ولكن هناك ما هو أعظم وأخطر، وهو صد المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام، فلذلك فتح الله على نبيه في الشهر الحرام من العام المقبل، فعاب المشركون على النبي القتال في الشهر الحرام.

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصور، وأ.د. عمار طسطاس

قال تعالى: "وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرَ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ" أي من القتال، فإن كنتم قد قتلتم في الشهر الحرام، فقد صدوكم عن الله مع الكفر به وصدوكم عن المسجد الحرام وأخرجوكم منه وانتم أهله، وهذا أكبر عند الله لأنه فتنة والفتنة أكبر من القتل كما قال تعالى، وهم لا يزالون على ذلك غير تائبين منه قال تعالى: "وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا"⁵¹

إذا نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم الذي يعتبر المطبق الأول للمبادئ القرآنية كان في جميع مراحل دعوته يدعو إلى الحوار والجدال بالتي هي أحسن، وأكبر دليل على ذلك تشريع الجهاد على مراحل تدرج تحت مرحلتين أساسيتين: الأولى المكية، حيث كان يطرح الحجج والبراهين لمدة ثلاثة عشر سنة، والثانية المرحلة المدنية التي أتت بعد تأسيس الدولة والنظام الإسلامي، وتغير موازين القوة التي أصبح لها موقف مختلف، ومع كل هذا فإن الحروب التي خاضها النبي عليه السلام لم تكن ابتدائية ولم تخرج عن نطاقها الدفاعي مثال ذلك غزوة بدر التي لم يبدأ النبي فيها بالقتال كما أنه لم يمهد لذلك أبداً، وكان خروجه إليها بهدف الاقتصاص لأموال المسلمين التي صادرتها قريش في مكة. والهدف من الجهاد القتالي هنا ليس إرغام الناس على اعتناق الإسلام بل إخلاء مركز السلطة من الظلم والفساد، وهذا ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام حيث كانوا يخبرون العدو عند مجابته بين ثلاث أمور: الإسلام أو الذمة أو السيف، والملاحظ أن السيف هنا آخر الحلول لا يأتي إلا بعد رفض الإسلام والذمة التي تتيح للمسلمين أن يحكموا بالعدل فيتحقق بذلك منع الظلم والفساد،⁵² أي أن القتال ليس موجهاً للأفراد لإجبارهم على اعتناق الإسلام بل هو موجه بالدرجة الأولى للأنظمة السياسية والاجتماعية الظالمة المستبدة ولا يتعرض للأفراد إلا بقدر ما يسهمون في الدفاع عن هذه الأنظمة. أما عن عقائد الناس وإيمانهم فلا يمكن أن يجبروا على تغييرها بالسيف والقتال، إنما امثل طريق لذلك هو الحكمة والموعظة الحسنة⁵³. إذا فالجهاد ليس هدفاً في حد ذاته بل وسيلة لها حكم بالغة وأهداف جليلة، وهو ركن لا يقل أهمية عن أركان الإسلام الأخرى، ما دام مشرعاً من طرف حكيم خبير، لأهداف ومقاصد سامية تتخذ من مبدأ تحقيق العبودية منطلقاً لها، ونستطيع تلخيص أهداف الجهاد في الآتي:

1- **إعلاء كلمة الله:** فقد جاء الإسلام من أجل تحرير الإنسان في الأرض من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ومن العبودية لهواه وشهوته إلى عبودية رب العالمين. وهذا لا يتحقق إلا بإظهار دينه وإعلاء كلمته تبارك وتعالى، وبالتالي يتحقق مبدأ العبادة وهي الغاية التي خلق من أجلها الخلق.⁵⁴

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصور، وأ.د. عمار طسطاس

2- **نصرة المظلومين:** ودفع العدوان الذي لا يقتصر على المسلمين فقط بل أينما وقع وبأي شكل وقع، لأن الله سبحانه وتعالى حرم على عباده الظلم، والعدل في الأرض واجب لكل الناس وليس أمراً خاصاً بالمسلمين فقط.⁵⁵

3- **رد العدوان وحفظ الإسلام** ولهذا أمر الله تعالى بقتال الذين يقاتلوننا من المعتدين في قوله: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين". يقول سيد قطب في ذلك: "وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمجتمع الذي يسود فيه المنهج ولكنها هي ليست الهدف النهائي وليست حمايتها هي الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير"⁵⁶ إذا إقامة حكم الله غاية من غايات الجهاد والذين يجب أن يسعوا إليها هم المسلمون الذين لو قبلت دعوتهم إلى حكم كتاب الله لكان عليهم أن يكتفوا بالدعوة دون اللجوء إلى القوة ولكن أكثر الناس بالإضافة إلى رفضهم الدعوة يقفون موقف العدو المحارب لها.

هل يخالف الجهاد المبادئ الإنسانية؟: إذا وبعد بيان الأشكال التي يتخذها الجهاد وأهدافه يطرح التساؤل الآتي: هل يعتبر الجهاد بجميع أشكاله معاداة للإنسانية؟ ونقول في هذا الشأن: إن الافتراض الذي يجعل من الجهاد منهجاً للقسر والإرغام من أجل نشر الإسلام وإقامة مجتمع إسلامي خاطئ؛ ودليل ذلك درجات الجهاد التي رتب في سلم هرمي كما بينا بحسب درجة الأهمية لكل مرتبة في أشكاله، فكانت الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة دون إرغام على رأس الهرم بعد مجاهدة النفس، ثم يأتي بعد ذلك مقاومة كل من يقف في وجه كلمة الحق، بهدف منع الدعوة الإسلامية، وبالرغم من كون هذا الجهاد قتالياً إلا أنه لا يهدف إلى إرغام الناس على اعتناق الدين الإسلامي بل يبقى المقصود منه حماية الحريات، لأنه من حق صاحب أي رأي التعبير عن رأيه وللمتلقي حرية القبول به أو رفضه، قال تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن»، ثم يأتي في الدرجة الثالثة بعد ذلك مواجهة كل من يتربص بالمسلمين وأرضهم التي مكنهم الله عز وجل منها، وتشمل هذه الدرجة تحصين الحدود وحماية الثغور وإعداد الجيوش لحماية أوطان المسلمين من محاولات الاعتداء على حقوقهم المادية أو المعنوية؛ وبهذا تتضح لنا صورة الجهاد الذي يعتبر في الحقيقة سياجاً لحماية الحرية ضد كل من يتربص بها،⁵⁷ وهذا يجعل من الحكم عليه بمعاداة المبادئ الإنسانية حكماً خاطئاً بعيداً عن الموضوعية. فالإسلام يتميز ببعده الكوني الشمولي الإنساني فهو تلك الرؤية الشاملة لله، للعالم، وللإنسان، التي تنبسط بالعلوم والفنون وبكل إنسان وبكل مجتمع،

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

مشروع بناء عالم الهي وإنساني لا انفصام فيه، أي انه رسالة للبشرية كافة وليس ديناً خاصاً بجماعة أو بأمة دون غيرها . ويعتبر الجهاد بمعناه العام وسيلة نصل بها إلى تحقيق هذا المشروع عن طريق تعريف الناس بالتصور الصحيح عن الخالق والكون والحياة، كما انه وسيلة للحلولة بين الطغاة والناس لتمكينهم من الاختيار الحر، والنظر السليم.⁵⁸

إذا فالأهداف التي يسعى إليها الجهاد ليست سواء، ولكل منها شكل مناسب من أشكاله، فنجد من تلك الأهداف ما يتعلق بقلب الإنسان وعقله لتصحيح عقائد الناس وتوجيههم نحو عبادة الله، وهذا النوع لا سبيل للقوة المادية إليه ويدخل ذلك في معنى قوله تعالى "لا إكراه في الدين" - البقرة 256- والمقصود بالجهاد هنا جهاد الحجة والبيان، ويكون ذلك عن طريق الأسوة الحسنة والمعاملة الطيبة وتوجيه النظر إلى الآيات الكونية، بالإضافة إلى بيان دور هذا الدين في إسعاد الإنسان، أما ما لجأ فيه المسلمون إلى القتال فذلك يكون لملاحقة الظلم والفساد الذي لا تجدي معه الحجة والبيان أو الموعظة الحسنة .

الجهاد وإنسانية الإنسان: خلق الله الإنسان ليكون خليفته على الأرض، وذلك لما وهبه من مؤهلات وملكات لم يهبها لغيره من الكائنات، إلا أن الإنسان خالف هذا الهدف السامي من ناحيتين رئيسيتين، بالانحراف عن الفطرة السليمة، وبناء العلاقات الإنسانية على قاعدة السيطرة والغلبة. فتشير لنا الآيات القرآنية إلى تدرج المجتمع الإنساني من مجتمع يتعامل مع ما حوله بفطرية تامة إلى مجتمع تحكمه غريزة حب التملك والسيطرة مما ولد أنانيات وأحقاداً متبادلة بين أفراد، لهذا نزلت التشريعات التي تستنكر تملك الإنسان روح السيطرة والعداوة بينه وبين أخيه الإنسان، واستبدلتها بروح المحبة والأخوة مستندين في ذلك إلى ما يجمعهم من عقيدة الإيمان بالله تعالى ومحاولة العودة إلى مرحلة الفطرة الإنسانية السليمة.

ولتحقيق هذا الهدف تدعو الرسالة الإلهية الإنسان إلى ما يسمى بالجهاد الأكبر والذي يدل على مجاهدة النفس ومغالبتها حتى تنتصر قوى الخير فيها على قوى الشر وقد سمي كذلك لأن مجاهدة النفس والشيطان أشد مما هو عليه الحال في الجهاد الأصغر الذي يعمل على مجاهدة العدو الخارجي، كما أن هذا الأخير لا يقل أهمية عن الجهاد الأكبر حيث يستمد قيمته من سمو هدفه الذي يتمثل في الحفاظ على حرية الإنسان التي تعتبر أسمى القيم الإنسانية. وهنا تتجلى لنا أهمية ومكانة الإنسان في الإسلام حتى في الجهاد الذي قد يعتبره البعض صورة معادياً للإنسانية، إلا أن الإسلام وضع قوانين وأحكام خاصة للجهاد في زمن الحرب تتكفل بحفظ كرامة الإنسان والبيئة التي يعيش فيها. وفي هذا المقام نذكر ما ورد في كتاب الإسلام والقانون الدولي الإنساني عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم في من لم يشارك في الحرب فعن سليمان بن بريدة عن أبيه

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصور، وأ.د. عمار طسطاس

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيشه أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال: "اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتن ما أجابوك فاقبلها منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبلها منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أن يكونوا كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم..."⁵⁹ وذلك محافظة على حياة من لم يشارك في الحرب وعلى كرامة من شارك فيها وقتل. فقد قال جل وعلا في خضم الأمر بالقتال: "ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"، إذا يعتبر تجاوز المحاربين المعتدين إلى غير المحاربين من الأمنين المسالمين الذين لا يشكلون خطراً على الدعوة الإسلامية ولا على الجماعة المسلمة، كالنساء والأطفال والشيوخ والعباد المنقطعين للعبادة من أهل كل ملة ودين عدواناً منهاها عنه كما جاء النهي أيضا صريحا عن التمثيل بالجثث والغلو في القتل والغدر بالعدو، وقد تم النص على ذلك في عدة مواقع في السنة النبوية الشريفة. دون أن ننسى أن هذا الحديث يركز على أن القتال هو آخر الخيارات التي قد يلجأ إليها المسلم بعد الدعوة إلى الإسلام، فإن رفضوا فالجزية فإن أبوا و كانوا عائقا في وجه الدعوة فالقتال هو الحل. كما اهتم الإسلام أيضا ببيئة الحرب وصيانتها وتجنب الإخلال بها أثناء الحرب، حيث يعتبر ذلك من مستلزمات رعاية حق الكرامة الإنسانية، فقد روي أيضا عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن إلقاء السم في بلاد المشركين، ناهيك عن استخدام كل أنواع الأسلحة النووية والكيميائية في ساحات الحروب وخارجها، التي يتفطن أصحابها اليوم دعاء الإنسانية في استعمالها ضد من يعاديهم، كما يدخل في ذلك القصف وتدمير المنشآت والمرافق العامة المستخدمة من قبل عامة الناس التي لا دخل لها في الحروب، فمنعت تعاليم الإسلام كل مظاهر التخريب في البيئة التي من شأنها إفساد نمط معيشة الإنسان، والمس بمتطلبات إنسانيته.⁶⁰ وبالتالي نستطيع أن نرد على من يقول بأن الإسلام ليس بأداة تحرير، بقدر ما هو دعوة إلى الخضوع والطاعة، أن الخضوع لله هو خضوع لرب العباد خالق الأكوان والإنسان الذي كرمه بالعقل وحمله أمانة الاستخلاف في الأرض، وترك له الحرية بين الطاعة والمعصية، فهو الكائن الوحيد الذي يملك حق العصيان وتحمل نتائج أفعاله الاختيارية. قال تعالى: "وما ربك بظلام للعبيد"

وقال مخاطباً رسوله عليه الصلاة والسلام: "فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر" هذه النصوص وغيرها كثير تنبذ السيطرة والقهر والاستعباد وتعمل على تحرير الإنسانية، وإذا كان الدين يدل على الطاعة والخضوع فإن هذه الطاعة مشروطة باحترام حقوق الإنسان لتحقيق إنسانيته، كما أن القول بحاكمية الوحي لا يتعارض أبداً مع حاكمية العقل كما يقول الغزالي: «إعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأس والشرع كالبناء، ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس... فالشرع عقل من خارج والعقل شرع من داخل وهما متعاضان بل متحدان»⁶¹، كما أن الشرع جعل استخدام العقل وتحكيمه ضمن حقوق الإنسان، فحفظ العقل من مقاصد الشريعة ومنع الإنسان هذا الحق، فقد سلبه إنسانيته.

وختاماً نقول: إن الإسلام في أصوله رسالة الله إلى الإنسان جاء لتحريره من كل أشكال السيطرة والتسلط، كما أنه ليس مجرد عقيدة كلامية أو جملة من الشعائر و المناسك، بل هو نظام يريد أن يقضي على النظم الباطلة يستبدلها بنظام صالح و منهاج معتدل يرى انه خير للإنسانية من النظم الأخرى، وأن فيه نجاة للإنسان وسعادة له وفلاحاً في الدنيا والآخرة معاً، بما انه يهدف إلى الإصلاح والتجديد للبشر كافة، ولا فرق في ذلك بين الأحمر والأسود أو الغني والفقير، وبذلك تتكون الأمة الإسلامية التي عليها أن تبذل قصارى جهدها وراء تغيير النظم الفاسدة، وإقامة نظام الحق المؤسس على قواعد الإسلام. وهذه هي الغاية الكبرى والأسمى التي يهدف الإسلام لتحقيقها أما القول بأنه تحول إلى لاهوت للسيطرة على الإنسان وتقييد قدراته ما هو إلا نتيجة لبعض الترجمات التاريخية والتطبيقات الخاطئة لبعض المبادئ في الإسلام، والتي شوهت حقيقة الدين وحرقت رسالته التي كانت تسعى إلى تحرير الإنسان من كل أشكال السيطرة والتسلط بهدف تحقيق إنسانيته. أما بالنسبة للمظاهر التي تلغي إنسانية الإسلام لعنفها ودمويتها، فلا مسؤول عنها إلا الممارسات الخاطئة الناتجة عن الفهم الغير صحيح للدين. وهي المسؤولة عن هذا الانحطاط الذي أصاب الإنسانية ولا معنى للإلباس الدين هذه الدعوى. ولا يجب أيضاً أن ننسى إبراز تلك النماذج الحضارية التي قدمت تطبيقات ناصعة للدين تحققت فيها قيم التسامح ومظاهر إنسانية الإنسان وعظمته بصفته خليفة الله في الأرض، وإن قصر المجال لذكرها هنا فإن كتب التاريخ خير دليل عليها. وفي الأخير نقول أن الإسلام هو دين الإنسانية وأكبر دليل على ذلك أنه أثبت إنسانيته حتى في الجهاد الذي يعتبر في نظر الكثيرين كما سبق وذكرنا عنف في أرقى صورته لكن هذه النظرة ناتجة عن فصل الجهاد وعزله عن روحه الأصيلة التي تتمثل في أهدافه ومبادئه التي شرع من أجلها منذ البداية دون أن ننسى الشروط التي أحيط بها على جميع المستويات من بداية العزم على الجهاد الى نهايته كلها شروط تبعده عن الظلم والتعسف

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

الذان يبعدانه بدورهما عن الإنسانية، في حين أننا نجد أن من يدعون مخالفة الإسلام لمبادئ الإنسانية، أكبر المعادين لها بالرغم من محاولة ترسيخهم لمبادئ حقوق الإنسان وتنصيب أنفسهم الوصي على تفعيلها في الواقع بين الشعوب المجتمعات إلا أن سلوكياتهم على أرض الواقع تثبت نقيض ذلك.

-الهوامش والإحالات:

- ¹ هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، (دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1)، ص75
- ² عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون، ص71، نقلاً عن مصطفى كحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، إشراف إسماعيل زروخي، (2007 2008)، ص55.
- ³ جملة باحثين، النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، تحرير: عاطف احمد، (ط2، دت، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة) ص 17-18-19-20.
- ⁴ مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، (الهيئة العامة لشؤون المطابع، القاهرة، 1403هـ/1983م)، ص174.
- ⁵ المرجع السابق، ص 17-18-19-20.
- ⁶ فرناند بروديل، كتاب تاريخ وقواعد الحضارات، ترجمة: حسين شريف، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط. ت)، ص 409-410-411.
- ⁷ اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل احمد خليل، اشرف: عليه احمد عويدات المجلد الثاني، H Q، (منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001)، ص569.
- ⁸ المصدر نفسه، ص 566-567-570...
- ⁹ هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ص77.
- ¹⁰ مصطفى كحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ص59.
- ¹¹ صادق جلال العظم، الإسلام والنزعة الإنسانية العلمانية، تر: فالح عبد الجبار، دار المدى، العراق، ط1، 2007، ص13-14.
- ¹² أحمد عبد الرحيم السايح، فلسفة الحضارة الإسلامية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، دط، 1410-1989، ص13.
- ¹³ عادل العوا، الإنسان ذلك المعلوم، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1977، ص6.
- ¹⁴ مصطفى كحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، ص60.
- ¹⁵ محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، القاهرة، ط9، 1422-2001، ص589.
- ¹⁶ أركون، نزعة الأنسنة في الفكر العربي، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لندن، ط1، 1997، ص608.
- ¹⁷ محمد أركون، معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، تر: هاشم صالح، دار الساقي، ط1، 2001، ص7.
- ¹⁸ عبد الجبار الرفاعي، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ط2، 1434-2013، ص295.
- ¹⁹ عبد الوهاب المسيري، رحابة الإنسانية والإيمان دراسات في أعمال مفكرين علمانيين وإسلاميين من الشرق والغرب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2012، ص82.

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

- ²⁰ عبد الوهاب المسيري، رحابة الإنسانية والإيمان، ص83.
- ²¹ لؤي الصافي، الإنسان وجدلية الوجود والوجدان، تأملات في صيرورة الوعي وفاعلية الإنسان بين الغياب والحضور، (دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2016)، ص201.
- ²² ابن منظور، لسان العرب المحيط، (دار المعارف، بيروت، د.ط، 1390)، ج1، ص708.
- ²³ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1390-1970)، ج1، ص486.
- ²⁴ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1413/1993)، ج3، ص351.
- ²⁵ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تخريج: هاني الحاج، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، (المكتبة التوفيقية، مصر، د.ط.ت)، ج6، ص5.
- ²⁶ تقي الدين أحمد بن تيمية، مجموعة الفتاوى، تخريج: عامر الجزار - أنور الباز، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1419-1998)، ج14، ص291-292.
- ²⁷ أبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، تخريج: مصطفى كمال وصفي، (دار المعارف، القاهرة، د.ط. ت)، ج2، ص267.
- ²⁸ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مراجعة: انس محمد الشامي، محمد سعيد محمد، (دار البيان العربي، مصر، د.ط، 2006)، ج3، ص404.
- ²⁹ محمد نعيم ياسين، حقيقة الجهاد في الإسلام، (دار الأرقم، النقرة، الطبعة الأولى، 1404-1984) ص40-43...
- ³⁰ محمد فتح الله كولن، إعلاء كلمة الله، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، (دار النيل، اسطنبول، ط2، 1422-2002)، ص23.
- ³¹ وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، (دار الفكر المعاصر، دمشق، ط9، 1428-2006)، ج8، ص5849-5850.
- ³² الصادق عبد الرحمان الغرياني، مدونة الفقه المالكي وأدلته، (ط1، 1423/2002، مؤسسة الريان، لبنان)، ج2، ص403.
- ³³ النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411/1990)، ج1، كتاب الإيمان، ص54.
- ³⁴ ابن القيم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1418-1992)، ص6.
- ³⁵ محمد نعيم ياسين، حقيقة الجهاد في الإسلام، ص72.
- ³⁶ عبد الجبار الرفاعي، إنقاذ النزعة الإنسانية في الدين، ص23.
- ³⁷ محمد نعيم ياسين، حقيقة الجهاد في الإسلام، ص72.
- ³⁸ انظر محمد نعيم ياسين، حقيقة الجهاد في الإسلام، ص71، /الصادق عبد الرحمان الغرياني، مدونة الفقه المالكي و
- النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس**

أدلته ، ج2، ص405/404.

³⁹ هناك تقسيمات عديدة ومختلفة للجهاد بصفة عامة، فهناك من قسمه باعتبار المعنى العام والمعنى الخاص فنجد مثلاً جهاد النفس، و جهاد الشيطان، و جهاد الكفار، وهذا الأخير مقسم حسب العدو فنجد جهاد الكفار، و جهاد المنافقين، و جهاد المرتدين...، وكذلك نجد من يقسمه باعتبار المعنى العام إلى جهاد أكبر و جهاد أصغر. ولكن بحكم طبيعة الموضوع الذي نحن بصدد معالجته نجد أن معظم شبهات المستشرقين تدور حول التقسيم باعتبار مفهومه الخاص المذكور أعلاه.

⁴⁰ احمد زماني، بحوث حول النظام العسكري، (الدار الإسلامية، بيروت، ط1، 1991-1411)، ص32... 48.

⁴¹ احمد زماني، بحوث حول النظام العسكري، ص 31/.../42.

⁴² انظر: علي العلياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيها، (دار طيبة، ط2، 1995/1416)، ص 136، 137/أحمد تالي إدريس، التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال، (سنة المناقشة 1410)، ص31، 32/ سمير عزام، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، (دار البيادق، بيروت، ط2، 1996/1477)، ص 457.

⁴³ النسائي، المجتبى من النسائي، تحقيق أبو الفتح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406، 1986)، ج 6، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، رقم الحديث 3086، ص 2.

⁴⁴ انظر: علي بن نفع العلياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، ص 142/ احمد تالي إدريس، التربية الجهادية في الإسلام من خلال سورة الأنفال، ص32-33-34 / سمير عزام، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ص464.

⁴⁵ أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، خرج أحاديثه: احمد بن شعبان، (مكتبة صفا، القاهرة، الطبعة الأولى، 1425-2005)، ج 12، ص 51.

⁴⁶ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص293.

⁴⁷ سيد قطب، في ظلال القرآن، (دار الشروق، بيروت، ط10، 1982-1402)، ج 4، ص 2424.

⁴⁸ انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 2، ص 274...276/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص293

⁴⁹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص448.

⁵⁰ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8، ص 81-82.

⁵¹ انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 35-36/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص328-329

⁵² محمد نعيم يسين، حقيقة الجهاد، ص 50، 52.

⁵³ المرجع نفسه، ص 50، 54، 55.

⁵⁴ عبد الله القادري، الجهاد في سبيل الله حقيقته وغاياته، (دار المنارة، جدة، الطبعة الثانية، 1413-1992)، ص 153.

⁵⁵ المرجع نفسه، ج2، ص 166.

⁵⁶ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج8، ص1441.

⁵⁷ محمد سعيد رمضان البوطي، حرية الإنسان في ظل عبوديته لله، (دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1413-1992)، ص 105-106-117.

⁵⁸ آيات الجهاد في القرآن الكريم، لكامل سلامة الدقس، نقلا عن محمد نعيم ياسين، حقيقة الجهاد، ص 46.

النزعة الإنسانية في أحكام الجهاد ————— ط.د. هاجر منصوري، وأ.د. عمار طسطاس

- ⁵⁹ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسابوري، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ط1، 1419 – 1999، ج3، كتاب الجهاد والسير، حديث 1731، ص1356 – 1357.
- ⁶⁰ الإسلام والقانون الدولي الإنساني دراسة مقارنة، مجموعة من المؤلفين، (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2012)، ص39/38.
- ⁶¹ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (دار آفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1975)، ص57.

Humanism in the provisions of jihad

Hadjer MANSOURI Pr. Ammar TASTAS

Emir Abd El kader University for islamic sciences – Constantine, Algeria.

Abstract:

Human has a great importance in the field of jihad. It is linked to humanism in Islam in general. Jihad is one of the most important pillars of Islam, which preserves the value of man from two aspects: The first is the inner one, the greatest jihad, it works to purge the human soul of all the evil forces, the second is the smaller jihad, which preserves the freedom of the human being, which is considered the highest human values.

Keywords: Keywords: Jihad, Islam, Humanity, Mercy, Equality, Freedom.